# ممارسة النفوذ من خلال الصوفية الوظيفية: دراسة في تجربة النظام الجزائري

# The practice of influence through functional Sufism: a study of the Algerian regime experience

**شريفة دقيش**[1]

[1]مخبر الدراسات القانونية البيئية، جامعة 8 ماي 1945 قالمة (الجزائر)

dakiche.cherifa@univ-guelma.dz

**سليم حميداني**[2*]

[2]مخبر الدراسات القانونية البيئية ، جامعة 8 ماي 1945 قالمة (الجزائر)

hamidani.salim@univ-guelma.dz

**تاريخ الارسال: 2023/02/19 تاريخ القبول: 2023/05/23 تاريخ النشر: 2023/06/04**

**ملخص:**

*تدرس هذه الورقة ممارسة النفوذ من خلال ما يعرف بالصوفية الوظيفية، وذلك استنادا للتجربة الجزائرية خلال العقدين الماضيين، أين جرى تبني ذلك ضمن أدوات السياسة الخارجية للدولة، وضمن الاهتمامات الرئيسة لها على المستوى الداخلي، وحظي كل ما يرمز للصوفية بالاستغلال في مسائل الشرعية والولاء والدعم، وضمن مسارات التنافس وشغل المكانة.*

*تقدّم تجربة النظام السياسي الجزائري إطار مناسبا لفهم الصوفية الوظيفية، وكيف يمكن تحويل الجوانب الاعتقادية كعناصر معيارية إلى أداة للتأثير، ومبررا للتحرك الخارجي واستقطاب الولاءات ضمن حيز جغرافي يتجاوز حدود الدولة، ويحقق لها رمزية ومركزية وتحالفات، قد لا تحققها الموارد الاقتصادية والأدوات العسكرية.*

***الكلمات المفتاحية:*** *الصوفية؛ النفوذ؛ الجزائر؛ القوة الناعمة، السياسة الخارجية.*

***تصنيف جال:*** Z12;*M14*; Q28

***Abstract**: This paper aims to identify aspects of the exercise of influence through what is known as functional Sufism, and this is based on the Algerian experience during the past two decades, where this was adopted as part of the state's foreign policy tools. Everything that symbolizes Sufism has received attention and appreciation in a way that expanded its presence in what is greater than issues of faith and historical heritage, to issues of legitimacy, loyalty and possession of support, and within the paths of competition and prestige.*

*The experience of the Algerian political system provides an appropriate framework for understanding functional Sufism, and how Sufism aspects can be transformed from normative elements into a tool of influence,. It is a mechanism that guarantees the realization of symbolism, centralization and alliances that economic resources tools may not achieve.*

***Key words:** Sufism; Influence; Algeria; Soft Power, Foreign Policy.*

***JEL classification :*** Z12 ; *M14* ; Q28 ;

* المؤلف المرسل.

**مقدّمة:**

يشكّل الارتباط بالدين أحد أشكال الثقة والاستقرار النفسي للأفراد، سواء في الاعتقاد أو التبرير والترويج، أو في التضحية والقبول بالتنازل، أو في النزاع واستهداف الأخر، ولطالما تم الاعتماد عليه في عمليات الحشد وتبرير القرارات، وتمييز المجموعة الإنسانية وتحديد توجهاتها، وعلى هذا النحو فإنّه اكتسب مركزيته وقوته باعتباره عنصرا رئيسا في حياة الأفراد، وجزء من شعورهم بالأنا وبالانتماء للجماعة، ويلاحظ عبر التاريخ أن الأنظمة الحاكمة قد أيقنت بهذه الحقيقة، وسعت بجد لاستثمارها في تثبيت الحكم ومواجهة أي معارضة داخلية من جهة، وفي التصدي لأي أخطار خارجية عبر الاحتماء بالشعور الديني، واستعداد الأفراد للتضحية في سبيل ذلك، بل وامتد الأمر لأن يكون الدين بمثابة واجهة للتوسع والنفوذ الخارجيين، خاصة حين ترسّخ المضمون الواقعي بشأن كيفية بناء الدول لمصالحها، وتحديد ما تريده، بما يقتضي تغييرا لأهدافها أحيانا، على أن يكون الدين حاضرا لتبرير وشرعنة سلوك الدولة، وهو ما اتضح مثلا في الدفع بالظاهرة الصوفية لأن تكون في صميم هذه التوجهات المشار إليها.

تمثل الصوفية وما انبثق عنها من ممارسة تعرف بالتصوف أحد التطبيقات الاعتقادية للدين، ورغم كونها جانبا روحيا يحضر لدى جميع شعوب العالم، إلا أنها ترسخت باعتبارها سمة للشعوب المسلمة، وقد جرى تبنيها انسجاما مع الميل لإعلاء المقدّس في الاعتقاد، وجعله اطارا لتمرير عديد السياسات المتصلة بإنجاز التحكم الداخلي وبناء النفوذ الخارجي، وتشكل الصوفية الوظيفية إطارا معبّرا عن هذه التوجهات، وتظهر في المنطقة العربية خاصة في سلوك كل من الجزائر والمغرب، وهما الدولتان الواقعتان في مسار من التنافس وتناقض المصالح، وضمن اهتمام رسمي معلن بتحقيق المكانة الخارجية بالتوازي مع ترسيخ الاستقرار الداخلي، وباعتبار أن الجزائر تراهن على تعويض ما اعتبر اهمالا وتقصيرا في مجال السياسة الخارجية من ناحية تثمين العناصر غير المادية في قوتها وسلوكها الخارجي، فإنّ جاذبية تبني الاهتمام بالصوفية والتعويل على النتائج الإيجابية لذلك على الصعيدين الداخلي والخارجي؛ تفتح مجالا للنقاش بشأن ذلك ضمن إشكالية محورية لهذه الورقة البحثية، فحواها التساؤل التالي:

**كيف يمكن لمسعى الضبط الداخلي وبناء النفوذ الخارجي أن يتحققا باعتماد الصوفية الوظيفية، وذلك بدلالة تجربة النظام السياسي الجزائري في ذلك؟**

يرتبط هذا التساؤل بعدد من الأسئلة الفرعية التي يمكن عرضها على النحو التالي:

- ما علاقة سلوك بناء النفوذ بمفهوم القوة الناعمة؟
- كيف جرى تاريخيا تشكل وممارسة النفوذ عبر الصوفية الإسلامية؟
- كيف تجسدت الصوفية الوظيفية في سلوك النظام السياسي الجزائري من خلال الطرقية؟

تهدف هذه الورقة البحثية بالإضافة إلى إجابة عن الإشكالية المطروحة وما يتصل بها من تساؤلات فرعية، الوقوف على الخيارات البديلة في إدارة الشأن السياسي، والتوجهات نحو تثمين العناصر المتصلة بالثقافة والهوية والاعتقاد، والتعويل على استغلال الأدوات الإعلامية والرمزية في صناعة الولاء وتسويق الصور النمطية الإيجابية، وتقليل الانفاق العسكري لصالح الجذب والتأثير الدبلوماسي، والتمكين لميادين

الاقتصاد والتنمية في استغلال التوافقات التي يصنعها الأثر الايجابي لتجسيد الصوفية الوظيفية على المستويين الداخلي والخارجي.

يمكن اعتماد فرضية رئيسية في التعامل مع الإشكالية والأسئلة الفرعية فحواها العلائقية التالية:

**تعززالصوفية الوظيفية للدولة مظاهر الانصياع الداخلي، وتكفل بناء المكانة الخارجية بحضور العامل الروحي.**

سيتم تنظيم المادة العلمية المتصلة بالموضوع والاشكالية المطروحة باعتماد المنهج الوصفي، في تتبع المفهوم ومضامين النفوذ والقوة الناعمة في السلوك الخارجي للدولة، والتمكن من الوقوف على الارتباطات الناشئة بين تبني الصوفية الوظيفية وأدوات تجسيد ذلك، باعتماد تجربة النظام الجزائر، ويتعزز المنهج بتوفير المادة التاريخية والشواهد المعززة للموضوع، والأحكام المتوصل إليها.

اعتمادا على الإشكالية والمنهجية التي تتبناها هذه الورقة البحثية، سيتمحور العمل ضمن ثلاث مباحث، سيجري عرضها على النحو التالي:

-بناء النفوذ ومنظور القوة الناعمة في السلوك السياسي؛

- ممارسة النفوذ عبر الصوفية الإسلامية: مسار التشكل والتوظيف؛

- الصوفية الوظيفية في سلوك النظام السياسي الجزائري.

هذه العناصر المشار إليها سيتم التفصيل فيها ضمن ما سيأتي.

## 1.بناء النفوذ ومنظور القوة الناعمة في السلوك السياسي

يتم النظر إلى النفوذ في الإطار السياسي على أنه حالة ارتباط منطقية بتوافر القوة، ويفترض التفكير العادي في العلاقات العامة تراتبية ضمن أدوات السلطة؛ تحتل فيه القوة العسكرية المرتبة العليا، ثم تليها الموارد الاقتصادية، وهناك الأدوات المرنة كالسلطة الأخلاقية وسلطة الاقناع (فلوريني و سيمونز، 2005، صفحة 28)، غير أنّه وبسبب ما أسفرت عنه تجربة الحرب العالمية الثانية من دمار ومآس، فقد ساهم ذلك في التردد بشأن الربط الآلي للسلوك السياسي بالقوة العسكرية، وأيضا في استهجان اللجوء إلى العنف إزاء حالات عدم الاستقرار، ومقابل ذلك جرى تفضيل اللجوء إلى أساليب سلمية ومواكبة للتطور الحضاري للإنسانية، وهو ما عبّر عنه مثلا الفيلسوف النمساوي غونتر أندرس Günther Anders (1902-1992) أنه: **من أجل قمع أي تمرد بشكل استباقي، يجب على المرء ألا يستخدم العنف، فالأساليب مثل تلك التي استخدمها هتلر عفا عليها الزمن، ومقابل ذلك يكفي إنشاء حالة من التكييف الجماعي، تكون قوية لدرجة أنّ فكرة التمرد نفسها لن تخطر على بال البشر مطلقا.** (Maurizi، 2021)

إنّه ولفهم علاقة الترابط الحاصلة بين بناء النفوذ ومنظور القوة الناعمة في السلوك السياسي -كمفهوم رائج ومشجّع عليه-فإنّ ذلك يقتضي الفصل بين العنصرين، ثم التوجه لفهم كل عنصر على حدى، وهو ما سيتم العمل عليه فيما يلي:

**2.1. بناء النفوذ ومنظور القوة الناعمة في السلوك السياسي.**

يشكل مفهوم النفوذ Influence عنصر محوريا في نقاشات القوة والتأثير والسيطرة ضمن المجال الخارجي، بل إنه يظهر أيضا على الصعيد الداخلي سواء في الارتباط بالبنى الرسمية، أو حتى العلاقات المجتمعية والأسرية، حيث أنه ولفهم قدرات التأثير المتفاوتة في المجتمع مثلا، لابد من تفسير النفوذ لكل مجموعة وطرف فيه، والواقع أنّ التفاوت في النفوذ ينشأ من خلال الاختلافات في توزيع الموارد السياسية، والتي هي كل ما يتاح للفرد الشاغل لمسؤولية سياسية من قدرة في التأثير على سلوك الأفراد الآخرين، وهناك تباين في المهارات والكفاءات التي يستخدم بها الأفراد مواردهم السياسية، وأيضا التباين في مدى استخدام الأفراد مواردهم لأغراض سياسية، بين من يستخدمها للحصول على النفوذ، ومن يستخدمها لتحقيق النجاح في العمل.(دال، 1993، صفحة 53، 54)

يظهر الطموح لممارسة النفوذ، من خلال السعي لممارسة التأثير، فالنظام السياسي يسعى لذلك تجاه الأفراد المحكومين، ومصادر الإنتاج والثروة الداخلية، في حين أنّ الدول بشكل عام تتطلّع إلى التأثير في غيرها بما يتوافق مع مصالحها، وبشكل يحفظ أمنها وتطور اقتصادها ومكانتها الدولية، غير أنّ تلك الأهداف تظلّ أمنيات ورغبات، ما لم تقترن بامتلاك وسائل لتنفيذها، والتي من بينها الوسائل الرمزية المعبر عنها بالأدوات الثقافية، المرتبطة بتوظيف الإنتاج الثقافي والتراث القومي في التأثير على الشعوب الأخرى، وتتجلى في مجموعة من الأنشطة الموجَّهة إلى التأثير في أفكار النخب غير الرسمية والأفراد العاديين في الدول الأخرى، بهدف تسويق توجُّهات معيَّنة، أو الدفع في اتجاه تأييد وضع معين أو رفضه (حسين، 2008، الصفحات 31-72)، وسواء ارتبطت الرغبة في التأثير بالمستوى الداخلي أو الخارجي، فإنّ ذلك يتصل بما يعرف بالقدرة الرمزية.

يرتبط مفهوم النفوذ بالجانب الرمزي، ويقصد بالقدرة الرمزية مدى تدفق الرموز المؤثرة في النظام السياسي إلى داخل المجتمع والبيئة الدولية على حد سواء، وتتضمن هذه الرموز كل ما تبديه الصفوة الحاكمة من تأكيد على القيم التي من شأنها إثارة حماس الجماهير، وما تبديه من اهتمام بالتراث القومي والمناسبات الوطنية، أو ما يصدر عنها من خطب وتصريحات في أوقات الأزمات إلى غير ذلك من المناسبات والأحداث، ويمكن بواسطتها تعبئة وتحريك احتياطي التأييد في المجتمع (شيبوط، 2018، الصفحات 167-178)، ويتم النظر إلى تعامل النظام مع هذه القدرة من خلال مفهوم الأداء الرمزي الذي يشمل في جزء منه الإشادة بالماضي والتقاليد الدينية، وذلك بهدف تحسين الأداء الحكومي، وهو يكمّل الأداء التنظيمي في ممارسة النظام السياسي الرقابة على سلوك الأفراد والجماعات في المجتمع. (ألموند و باول، 1998، الصفحات 167-178)

انسجاما مع بناء القدرة الرمزية وتوظيفها في بناء النفوذ، يسعى الشاغلون للوظائف السياسية إلى الدمج ما بين مسؤولياتهم وردود الفعل على ممارستها، بالحصول على شرعية مراكزهم وقراراتهم، وهي الشرعية التي يرتجى تحصيلها من الأشخاص المحكومين، عبر تشكيل إيمان بأنّ البناء السياسي والمسؤولين

والإجراءات والسياسات لها صفة الصلاح والملاءمة، والمضمون الأخلاقي المقبول، وفي هذا الإطار يقول روبرت دال Robert Dahl (1915-2014):

**يحاول القادة في النظام السياسي أن يضمنوا أنه في أي وقت؛ يتم فيه استخدام الوسائل الحكومية للتعامل مع الصراع، أن تكون القرارات التي يتم التوصل إليها مقبولة على نطاق واسع، ليس فقط بسبب الخوف من العنف أو العقاب والقسر، ولكن أيضا بسبب الإيمان بأنّه من الصواب والملائم أخلاقيا أن يتمّ ذلك.** (دال، 1993، صفحة 78)

يؤسس هذا الوضع لحالة من تكييف الأداء السياسي بحسب ما تقتضيه الحاجة في الحصول على الرضا والقبول والشرعية، وفي مستويات أعلى أين يتحقق الخضوع والاتباع، وقد ساهمت التطورات الحاصلة في أداء الأنظمة السياسية، ومجال القوانين والدساتير، وإرساء قيم التعددية والتداول السلمي على السلطة في النظر إلى الحياة السياسية على أنها عملية ديناميكية، تقتضي قدرا من التأهيل السياسي الذي هو جزء من العملية التي تعطي التوجهات السياسية شكلها، ويرتبط ذلك التأهيل بمفهوم الذات السياسية التي تختزل في المستوى القاعدي هوية الفرد العامة ومعتقداته، وكذا تصوره لمكانته والتزاماته العقائدية، والتي هي الأكثر رسوخا من التعرف على المؤسسات الحكومية أو السياسية، وللمنظمات الدينية دور في ذلك باعتبارها أحد عوامل تشكيل السياسة. (ألموند و باول، 1998، الصفحات 60-65)

### 2.1.منظور القوة الناعمة في السلوك السياسي الخارجي

يجسّد مفهوم القوة في العلاقات الدولية أبرز محددات فهم سلوك الدول، وهي ظاهرة تتخلل كافة الأنشطة الاجتماعية، من خلال كونها تعبّر عن القدرة على التأثير في سلوك الآخرين للحصول على النتائج المرجوة (Terzioğlu, 2022, p. 53)، وامتلاكها يحدّد درجة التفاوت بين الأطراف في أي مجال للعلاقات؛ سواء في خضم التعاون أو التنافس أو الصراع، كما ترسم القوة الأهداف وتضبط وسائل وآجال تحقيقها، وغالبا ما يتم استدعاء الجانب المادي منها ممثلا خاصة في القوة العسكرية ومدلولاتها في الإكراه لحسم أي خلاف أو تجسيد أي طموح، غير أنّه بالوصول إلى مستويات متقاربة من تلك القوة، قادرة على إحداث الدمار الشامل للعالم، ووضعية انتهاء الصراع دون وجود منتصر، صار هناك دواع مبررة للبحث أحيانا عن بديل للقوة الصلبة، وأحيانا أخرى عن مكمل لها، بما اصطلح عليه بالقوة الناعمة Soft Power.

تجسّد القوة الناعمة مجال تحرك للدولة في عالم غير مستقر، وذو سمة صراعية وتنافسية، وتوظيفها يمكّن من جذب الاخرين، وحثهم على تغيير سلوكياتهم ومواقفهم دون اللجوء الى تهديدات القوة العسكرية أو العقوبات الاقتصادية، فلقد أدت الإجراءات العقابية والقمعية التي فرضت على ألمانيا بعد الحرب الأولى إلى نشوب حرب عالمية ثانية في غضون عشرين عاما، وساد الإحساس لدى الألمان بأنها شكل للتوظيف السيء للقوة في الظلم والمعاملة غير العادلة، في حين أدت المفاهيم الجديدة للاستقرار والمصالحة والتنمية المشتركة والسلام في أوروبا وتجاوز الماضي، إلى تبلور قوة ناعمة استخدمت في بناء الاتحاد الأوروبي عبر عقود، وإلى أكثر من 70 عاماً من السلام في أوروبا (فيّاض، 2022)، وبذلك فإنّ القوة الناعمة كما عبّر عنها جوزيف ناي الابن Joseph Nye.Jr تشير إلى القدرة على خلق التفضيلات والصور الذهنية للذات عن

طريق المصادر الرمزية والفكرية، والتي تؤدي إلى تغيرات سلوكية في أفعال الآخرين، وهنا توصّل ناي إلى تعريف مختصر للقوة الناعمة بكونها:

"**القدرة على تغيير سلوكات الاخرين من خلال الإقناع بدل الإكراه أو الدفع**" (Nye , 2004, p. 20).

ويحصر "جوزيف ناي" مصادر القوة الناعمة في الموارد الثلاث التالية:

أولا: ثقافة الدول (في المناطق التي تكون فيها جذابة للآخرين)؛

ثانيا: القيم السياسية (عندما تكون مقبولة من الداخل والخارج)؛

ثالثا: السياسة الخارجية (عندما ينظر اليها على أنّها شرعية، ولها سلطة معنوية (Aigerim, 2015, p. 8) .

تنشأ الموارد المنتجة للقوة الناعمة في السلوك الخارجي-إلى حد كبير-من القيم التي تعبّر عنها منظّمة أو بلد ما في ثقافته، وفي الأمثلة التي تضربها ممارساته الداخلية والسياسية، وفي الطريقة التي يعالج بها علاقته مع الآخرين (الكعود، 2016، صفحة 35) ، وبذلك تعتمد القوة الناعمة اعتمادا رئيسيا على التأثير الثقافي خاصة في مجال الدبلوماسية العامة، باعتبار أنّ مصالح الفاعلين الدوليين ليست ثابتة، بل متغيرة وتنشأ من الإطار الاجتماعي، وحيث أنّ التأثير الثقافي والمؤسسي ينعكس على مكونات بيئة الدول، لذا فإنّ المؤسسات تغيّر من قيمة تكلفة المعاملات أو المعلومات المطلوبة لسياسة محددة، أو قد تغيّر المصالح نفسها (طالب ، 2019، صفحة 31)، لذا تظل الثقافة قاعدة ارتكاز في سلوك الدول، انطلاقا مما تعطيه الاعتبارات الثقافية من رمزية، وجاذبية تجعل ذلك السلوك مبررا، ومتغلغلا في قناعات الشعوب وشعورها الوطني، وميولاتها لإثبات الذات، وتقديم البدائل الحضارية، وترسيخ قيمها الإيجابية، على نحو يعلي من مكانة الدولة، ويعطي الثقة بخصوص نمط الحياة الذي تتبعه (حميداني و شرايطية، 2020، الصفحات 189-225).

يتعين عند التعويل على أثر القوة الناعمة في السلوك الخارجي، أن يكون هناك اهتمام جدي بها، وأن يتم نقلها من مجال التباهي إلى مجال التنفيذ، وأن يصحب ذلك وجود استراتيجية واضحة للدول في تثمين عناصر تلك القوة وتطويرها، والواقع أنّ مرونة الحركة المتجاوزة للإقليم والقدرة على الابتكار، كفيلان بأن يجسرا الهوة التقليدية لتباين القوى بين الدول الضعيفة وبين اللاعبين الأقوى على مسرح النظام الدولي (ميلر، 2018)، كما يجدر بالتعويل على القوة الناعمة أن يحافظ للدولة على وضعها كمركز جذب وإبهار على مستوى الشعوب خاصة الفئات العمرية الدنيا والشابة، باستغلال رصيد من الإنجازات والقيم ورمزية الأماكن والأحداث والروايات، وهو ما يستوجب انفاقا ماليا مؤثرا، وحرصا على تسويق صورة العراقة والأمن والتسامح، والحفاظ على الموروث التاريخي المتصل بالتميّز والابداع والجدارة، كما لا يجب إغفال الجانب التكنولوجي في تحقق الريادة والنموذج، سواء في ترسيخ القوة المادية بجوانبها العسكرية والاقتصادية، أو الابهار الثقافي والفني والإعلامي والرياضي، بل يمتد ذلك إلى الصورة المرجوة في السلوك الاجتماعي واحترام البيئة والمحافظة على التنوع البيولوجي، والبعد عن النبذ الاجتماعي وعدم التسامح، والقدرة على استيعاب الاختلافات الثقافية.

## 2. ممارسة النفوذ عبر الصوفية الإسلامية: مسار التشكل والتوظيف

يمثّل التصوف والصوفية أحد أبرز المصطلحات التي تحضر في تناول الجانب الروحي والاعتقادي للأفراد؛ وأثر ذلك على تصور الحياة الخاصة والجماعية، وكذا نمط السلوك وردود الأفعال، وقدرات ورمزية التأثير الروحي والاجتماعي والسياسي، والواقع أنّ التصوف والصوفية كلاهما لا يخص الإسلام حصرا، وإنما يجري اعتبارهما وجها لكل معتقد ديني، حتى ولو كان من الديانات الوضعية، حيث يتم ربط الصوفية مثلا بالهندوسية وبالبوذية والطاوية، وأيضا حتى بفلسفات قديمة على غرار الفلسفة اليونانية، وبممارسات كهنوتية لعقائد وثنية، غير أنّ الرائج في التداول هو ارتباطها بالدين الإسلامي فكرا وممارسة، ونظرا لجاذبية الجانب الروحي ومركزيته في كثير من السلوكات الاجتماعية وصياغة الآراء ووجهات الظر، فقد تم النظر إلى الصوفية كإطار مناسب لممارسة النفوذ وتجسيد التأثير المطلوب، عن طريق جس الهوة بين الاعتقاد الديني والسلوك السياسي على نحو يحقق الإخضاع المطلوب، أو التوجيه المرجو من طرف جهات أو أنظمة سياسية، وانطلاقا من هذا الرأي فإنه يجدر الإحاطة بظاهرة الصوفية والمسار الذي تحولت عبره إلى سواء إلى فاعل نافذ أو إلى أداة لممارسة النفوذ ضمن منظور الصوفية الوظيفية.

### 1.2. مسار تشكل الصوفية الإسلامية كفاعل نافذ.

يجسّد التصوف -الذي طالما تم ربطه بالإسلام-ظاهرة روحية وفلسفية تشمل اعتقادات وقناعات وأنماطا للتربية وطرقا للسلوك ضمن المجتمع، وتصورا لمفهوم الطاعة والتعبد وتزكية النفس، والارتقاء في مراتب الايمان، إضافة إلى البعد عن الملذات والانصراف عن متع الحياة، والانقطاع بشكل كلي إلى العبادة ( حمد، 2018، صفحة 11)، وتتصل نشأة التصوف في الإسلام بنشأة الزهد، والذي ظهر في القرنين الأولين من الهجرة، بينما ظهر التصوّف ابتداء من القرن الثالث، متأثرا برفض حياة الترف المتزايدة والبعد عن قيم الإسلام الأصيلة، إضافة إلى الأوضاع السياسية التي اتسمت بالعنف والاستبداد، ودفعت عددا من المعارضين والفقهاء إلى العزلة، ويسير في تبرير هذه الأسباب المنشئة للتصوف ما ورد في مقدمة ابن خلدون، إذ قال عن التصوف الاسلامي وظروف نشأته:

**...هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أنّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني(الهجري) وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة** (ابن خلدون، 2006، صفحة 521، 522).

لقد نشأ التصوّف إذا كنزعة فردية قوامها الزهد والورع في الدنيا، كطغيان على التعلق بالدنيا، فعكف جمع من الناس على العبادة، أطلق عليهم اسم الصوفيّة والمتصوّفة، وقد قال الإمام عبد الوهاب الشعراني (1492-1565م) وقد كان من أقطاب التصوف في مصر:

**من جعل علم التصوف علماً مستقلاً صدق، ومن جعله من عين أحكام الشريعة صدق.** ( البساطي، 1988، صفحة 32)

ساهم تعدد منطلقات التصوف، واندماج فئات متباينة الاعتقاد في هذا التيار إلى حدوث تنوع في التصوف إلى الحد الذي فتح نقاشات وجدلا حول مدى الصلة بالدين الصحيح، وتشتيت الايمان والقرب من الكفر، فصار هناك نوعين من التصوف: تصوّف فلسفي ارتبط بالغلاة عبر أفكار منافية للإسلام، خاصة فكرة الحلول، ووحدة الوجود؛ مقابل تصوف تربوي أخلاقي ظلّ المرغوب والمروّج له دينيا، وهو الذي قال عنه الإمام محمد بن علي الكتاني (المتوفي سنة 934م):

**التصوّف خُلق، فمن زاد عليك في الخُلق زاد عليك في التصوّف.** (علاوي، 2012، الصفحات 127-141).

ورأى المستشرق "لوي ماسينيون"Louis Massignon أنّ التصوّف بدأ أوّلا كتجربة إيمانية فرديّة، ليتحول إلى مسلك جماعي، انبثقت منه طرق ومذاهب صوفية كثيرة تنسب إلى شيخ أو قطب بارز يجذب أتباعا ومريدين ناقلا الوراثة الصوفية، أو ما يعرف بالسبحة أو الولاية من شيخ لآخر (كلوشي، 2010، الصفحات 533-546)، حفاظا على الطريقة الصوفية والتي تخضع لمراسيم وتنظيمات لجماعات يُقبل عليها المريدون، لتصبح ابتداءً من القرن السادس للهجرة طريقة لها بيعة معينة، وأوراد وزي وموالد خاصة، وأضرحة يتم تقديسها والتبرك بها، وزوايا يجتمعون بها ( السهلي، 2005، الصفحات 9-11)، فتشكّلت مجموعة من الطرق الصوفية، التي وظّفت آليات مختلفة كالأضرحة والمساجد والمزارات، وانبثق عن كل طريقة زوايا هدفها الأوّل العبادة والاعتكاف بعيدا عن بذخ الحياة إبتداءً، لتتطور وظائفها دينيا واجتماعيا وسياسيا، ولقد ظلّ العقل الصوفي مستندا على شواهد تراثية، في بناء تصوره الخاص عن حياة الأولياء التي لا تنته بوجودهم المادي، وفي هذا الإطار يرى الباحث في الأنثروبولوجيا الثقافية حامد محمد حامد:

"**ذهنية المريدين لها منطقها الخاص، فالأولياء لهم حياتهم التي لا تنتهي بالوفاة، ففي كلا العالمين تبقى لدى الوليّ قدرات خاصة، إذ تتحرك روحه وتتابع شؤون المريدين وترشدهم روحياً** ( حفينة، 2022)."

في جانب أخر تأثر التصوّف بتغلغل العقائد الأخرى في الفكر الإسلامي، خاصة الرهبنة المسيحية، التي أدت إلى ظهور الصوامع والأديرة المنعزلة، وأيضا الفلسفة الهندية واليونانية القديمة، إضافة إلى تأثير علم الكلام الذي تسربت كثير من مضامينه إلى الفلسفة وإلى الجوانب الاعتقادية (عفيفي، 2018)، وقد بلغ التصوف ذروته إبان الفترة الاستعمارية، أين انتشرت الصوفية في عبر بلدان العالم الإسلامي كشكل من المقاومة والرغبة في حماية الدين، وظهرت من خلالها الطرق الصوفية التي باشرت نشاطاتها في الصحارى والجبال والمناطق الوعرة والمنعزلة، مضفية على شيوخها هالة من الرمزية والقداسة، فيما التجأت إليها جموع البسطاء والمحرومين، جنبا إلى جنب مع طلبة العلم الشرعي وحفظة القرآن والساعين لشغل وظائف في المجال الديني.

### 2.2 توظيف نفوذ الصوفية عبر التاريخ الاسلامي

على مدى قرون من ظهور الصوفية، سيتراجع التصوف المرتبط بالعلماء والفقهاء، ليسود التصوف الشعبي الذي رسّخ بدعا وانحرافات في الاعتقاد، وأشاع الدروشة والطرقية ضمن ما سيصبح التصوف

الشعبي، الذي صار مرغوبا بشدة ومشجّعا عليه، لأجل استغلاله في الاستقرار وكسب الشرعية والتوريث السياسي، والتخويف من المعارضة والتمرد، وقد جاء النفوذ التاريخي الكبير الذي تحقق للصوفية مثلا، من خلال تحالف ممثليها مع السلطنات الإقليمية، التي كانت شرعيتها معتمدة على الدعم العام للإسلام، وأدى هذا إلى استثمار كبير في الأضرحة والمساكن الصوفية، جعلها طوال فترة العصور الوسطى راسخا مكانيا في المدن والقرى، وكانت مهاجمة الصوفية تفسّر على أنها هجوم على الإسلام كله، وصارت تمثل صورة الإسلام في فترة العصور الوسطى، أي إسلام الأولياء والمعجزات المدعوم ليس فقط من الحكّام، وإنما أيضا بالحماس الشديد من قبل أفراد القبائل (جرين، 2017، صفحة 152)؛

في المقابل فإنّ رجال الدين المواجهين للباطل والمتصدّين لتجاوزات الحكّام عبر التاريخ الاسلامي، لم يكونوا -رغم ندرتهم-نوعا مرغوبا فيه، بل كان الملوك يرغبون في رجال دين لا يهتمون بالسياسة ولا يتدخلون في شؤون الحكم، لذلك انصرف الأيوبيون مثلا لتشجيع شيوخ الطرق الصوفية، وبناء الزوايا لهم، وتشجيعهم على التقشف والتفرغ للعبادة، وبذلك غدت الشام آنذاك مملكة الصوفية (الحايك، 2006، صفحة 64).

لقد امتلكت الصوفية عبر التاريخ ثلاث قوى هي القوة الخطابية، والقوة الإعجازية، والقوة الاقتصادية:

- **القوة الخطابية** التي تشير إلى السلطة التي حصلت عليها الصوفية كخطاب يتضمن مجموعة من الكلمات والمفاهيم، والنماذج المجتمعية والكونية المؤثّرة، وكذا النماذج السلوكية والخلقية التي يقتدى بها؛

- **القوة الإعجازية**، التي تتمثّل في قدرة شيوخ الصوفية نتيجة لقربهم الخاص من الله-حسبما يؤمن أنصارها-على اجتراح المعجزات والعجائب؛

-**القوة الاقتصادية** التي اكتسبها الصوفيُّون عبر قرون متتالية، فلقد بدأ الصوفيون البارزون، بداية من فترة العصور الوسطى، في تلقي هبات كبيرة، كما تحصلوا على أراض وعقارات من المريدين المنتمين إلى الطبقة الحاكمة، وعطايا نقدية أو عينية أقل من الأتباع الأقل غنى(جرين، 2017، صفحة 29، 30).

إبان الفترة التي خضع فيها العالم الإسلامي للحكم الأجنبي، أدرك الاستعمار فائدة الحفاظ على التصوف الشعبي وحمايته، وذلك في سبيل تعزيز سيطرته على البلاد الإسلامية مستغلا شيوع الجهل والخرافة، والاعتقاد بأنّ الاستعمار هو قدر الله على الشعوب المسلمة، والذي يجب أن تواجهه بالقبول والصبر، ويقدم نموذج الولاءات والتواطؤ بين الصوفية بعدد من طرقها في الجزائر والاستعمار الفرنسية جملة من الاثباتات عن ذلك الواقع (معيوش، 2021، الصفحات 175-184) ،غير أنه لا يمكن التعميم بِشأن عمالة الصوفية وكونها أداة للاستعمار بشكل عام ومطلق، حيث مثلت عديد الطرق الصوفية تحديا للقوى الاستعمارية، بتبنيها الجهاد والمقاومة المسلحة في السودان والقوقاز وليبيا والتشاد والدول المغاربية الافريقية المسلمة، فلطالما تصدّر شيوخ الزوايا ومريدو الطرق الصوفية الواجهة السياسية والعسكرية في حالات الخطر الخارجي، أو الفتن وسقوط الأنظمة الحاكمة، وبشكل واضح أثناء فترة الغزو الاستعماري، باعتبارهم رمزا للرفض والمقاومة والجهاد ضد المحتل، ومن ذلك مثلا مقاومة الأمير عبد القادر والشيخ الحداد والشيخ بوعمامة ضد الاستعمار الفرنسي (صحراوي، 2021، صفحة 111).

نجم عن نهاية الحرب العالمية الثانية والتحولات التي عرفها العالم في عقدي الخمسينات والستينات من القرن الماضي، الزوال التدريجي للاستعمار وحصول الدول المستعمرة على استقلالها، لترث بنى إدارية وأنماط تسيير يندمج فيها القانوني بالاجتماعي والثقافي، وتبرز الاعتبارات الثقافية في مركز القرار خاصة لدى المسؤولين الذين تعلموا في مراكز دينية صقلت توجهاتهم ونمط تفكيرهم، والتي هي جماعات ضغط يكون لديها مكانة مميزة، ومتاح لها الوصول لكبار موظفي الحكومة، ويعترف لها غالبا بأنّ كلا منها هي الممثل الشرعي الوحيد لمصالح محددة، ويتم إدماجها غالبا في الأجهزة الاستشارية الرسمية (نيوتن و فان ديث، 2014، صفحة 308).

بحصول عدد من الدول الإسلامية على استقلالها، فإن البوصلة الروحية كانت دليلا على التحرر من الاستعمار، وإحياء للهوية المستلبة، والتي يقع التصوف والزوايا في صميم مظاهرها، والواقع أنه بالرغم من الاعتزاز الشعبي بتراثه، فإنّ أنظمة تلك الدول ورثت تصورا سلبيا عن الصوفية، عززه مفهوم الصحوة الإسلامية، وخطاب الجماعات المسلحة التي اعتبرت أصحاب الطرقية ورواد الزوايا أقل تدينا، وفي أحيان أخرى مجموعة من الخارجين عن الدين، ووصفوا بأصحاب الضلالات والبدع وكانوا دوما محلّ إدانة، وأسهم نمط التعليم والثقافة السائدة في عقدي السبعينات والثمانينات من القرن العشرين، في تقليل الاهتمام والانخراط في مسار التصوف (المكشر، 2020)، غير أنّ التخوف من التطرف الديني، وجهود مكافحته في العالم الإسلامي، إضافة إلى أعمال القاعدة وأحداث 11 سبتمبر 2001م، كلها اجتمعت لتدفع نحو إعادة الاعتبار للصوفية والزوايا كخيار موازن للإسلام السياسي، وفي خدمة أجندة الأنظمة في تبادل المصالح وترسيخ الاستقرار المجتمعي والحصول على الدعم.

تزامن صعود التيار الصوفي مع إعادة تشكيل الحالة الدينية برمتها في العالم العربي خاصة في السعودية ومصر، من خلال السماح بانتقاد التراث والمؤسسات الدينية، والتقليل من قدسيتها، وإعادة تشكيل دورها في المجتمع، وتقييد تأثيرها السياسي والثقافي، والاتجاه أكثر إلى قوانين أكثر تحررا من هيمنة الشريعة الإسلامية، في حين ينحصر دور المؤسسات الدينية في الحث على تنفيذ سياسات النظام السياسي ومباركتها، وبالتالي إضفاء الشرعية عليه، وهو ما ظهر بشكل صريح مع التوجه الذي تبنته خاصة الإمارات ومصر والسعودية خاصة بعد جويلية 2013م، تاريخ الإطاحة بالرئيس المصري السابق محمد مرسي، وهو الحدث الذي شكل انتكاسة لمسار صعود الإسلام السياسي، مقابل التمكين لمعارضيه وعلى رأسهم الاتجاه الصوفي، بل وصل الأمر إلى تحييد فئات بالكامل واخراجها من الإسلام، على غرار مخرجات مؤتمر مؤسسة طابة Tabah *Foundation*؛ وهي منظمة غير ربحية مقرها في أبو ظبي، والمعنون بـ: (مَن هم أهل السنة والجماعة؟) بين 25 و28 أوت 2016، بالعاصمة الشيشانية غروزني، وقد تميّز هذا المؤتمر بإقرار التمايز والأفضلية للظاهرة الصوفية في إطار الفكر الديني، وإقصاء متعمَّد للتديُّن السلفي ولتيار الإخوان المسلمين، وإعادة إنتاج الظاهرة الصوفية بصفتها نمط التديّن الأكثر مشروعية لتمثيل الإسلام الحقّ، والأكثر تلاؤما ليس فقط مع المخزون الثقافي للمسلمين، بل حتى مع التيارات العلمانية(الدريسي، 2017، صفحة 03).

## 3. الصوفية الوظيفية في سلوك النظام السياسي الجزائري

لطالما سعى الشاغلون للمناصب في النظام السياسي الجزائري أن يحققوا ثنائية الاستقرار الداخلي والمكانة الخارجية في الآن ذاته، وكان ذلك يقتضي المراهنة على موارد مستمرة ومتزايدة، ظلت تتوفر نتيجة الطابع الريعي للدولة منذ الاستقلال، غير أنّه وفي العقود الثلاث الماضية اتّضح أن ذلك قد لا يتحقق دوما، في ظل تقلبات الأسعار وتآكل الاحتياطيات المالية، وتراجع حجم الموارد المتوفرة، لذا فإنّ جاذبية البحث عن بديل أو على الأقل مكمّل لسبل تغطية مستلزمات الضبط الداخلي وطموح النفوذ الخارجي صار أكثر من ضرورة، وهنا تبرز الصوفية الوظيفية كأبرز الخيارات التي انخرط النظام السياسي في تبنيها والترويج لها.

### 1.3. الصوفية والرأسمال الطرقي في الجزائر: التوظيف الداخلي

ترتبط الصوفية في الجزائر بمفهوم الطرقية، ولطالما كان لها حضور قوي في اعتقادات وتفكير الجزائريين لقرون عديدة، حيث كانت أولى مظاهر الصوفية والطرقية في الجزائر مرتبطة بالمتصوف أبي مدين شعيب الأندلسي(1115-1198م) الذي يوصف بمعلّم المعلمين وشيخ الشيوخ بالنسبة للصوفية، وهو ما أعطى للجزائر محورية في التأثير الروحي ونشوء الطرق الصوفية، ولطالما تم النظر إلى الصوفية على أنها الإسلام "الجيد" في الجزائر، بسبب الاعتقاد بأنّ الصوفيين لديهم عبر التاريخ ولاء سياسي للدولة، مقارنة بالإسلاميين المعارضين لسلطات الدولة أصحاب الولاء للأجنبي (Muedini, 2021, pp. 201-226).

تمثل الزوايا المقر الرئيس للطرق الصوفية، حيث تصنف إلى صنفين: زوايا رئيسية وفروع للزوايا، وهذا التصنيف يتبع مسار تشكّل وترسّخ التصوف في الجزائر، والذي بمرحلتين أساسيتين أولهما: المرحلة النخبوية المدنية التي نشأت بالمدن، ثم المرحلة الطرقية الشعبية الريفية، التي انتقل فيها التصوف من المدينة كتصوف مقتصر على النخبة، إلى الريف المتجه إلى العامة، وزادت مكانة الصوفية من خلال اكتساب أقطابها ألقاب أولياء الله، مع قداسة شديدة لكل ما يتصل بهم من أقوال وأفعال وأزياء وأماكن (قابو، 2016، الصفحات 165-177)، وحسب وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية(2017)؛ فإنّ مجموع الزوايا في الجزائر يصل إلى نحو 1600 زاوية، ويلاحظ أنّه -وبسب توجهات الحكومة في الجزائر منذ 1999 خاصة-فإنّ 90% من مساجد الجزائر تُسير من طرف خريجي الزوايا الصوفية، فزاوية الشيخ محمد بن الكبير المغيلي مثلا بها مدرسة قرآنية يتخرج منها قرابة ألف (1000)طالب سنويا، يتم توجيههم لإمامة المساجد عبر التراب الوطني (قناة DW عربي، 2016).

لقد ساهم نظام الوقف والحبوس، وكذا التبرعات والهبات التي استفاد منها شيوخ الزوايا والطرق الصوفية؛ نظير ما رُوّج عنهم من التديّن والكرامات والخوارق والبركة والشفاء، في تقوية مركز هؤلاء الاجتماعي والديني، والذي تعزز مع مفهوم الرباط والضريح والزاوية، معززا بذلك مفهوم الإسلام الطرقي الذي لم يسد فقط في الأوساط الفقيرة وقليلة التعلم، بل وتغلغل نفوذه حتى ضمن الفئات الغنية والتي حظيت بقدر من التعليم (قابو، 2016، الصفحات 165-177)، ومن المهم الإشارة إلى تداخل الجانب الديني بمظاهر التقديس لرموز تلك الطرق، حيث أنّ عددا من الزوايا تحوي أضرحة لعلمائها ومشايخها بنفس مكان الزاوية، أو المدرسة التي يدرّس فيا القرآن أو المسجد، وهي متواجدة بكثرة بالغرب والجنوب الجزائري،

على خلاف الشرق الجزائري ومنطقة القبائل نظرا لجهود وكفاح جمعية العلماء المسلمين لها في وقت مضى، وكذا سياسة الرئيس الأسبق هواري بومدين -عبر كامل التراب الوطني- في انهاء تأثيرها، فقد كان يرى في الزوايا الصوفية منافسا في النفوذ والسلطة، ونكل بشيوخها تحت ذريعة أنهم جواسيس وعملاء، ولهذا فقد استهدفت سياسات التأميم والغلق والمصادرة أملاك هذه الزوايا إبان الحقبة الاشتراكية، وطالها تشويه شديد في فكرها وزعاماتها (منصر، 2012).

استعادت الصوفية ومؤسساتها بمجيء الرئيس الشاذلي بن جديد إلى السلطة قدرا كبيرا من هيبتها وحضورها في المشهد السياسي والاجتماعي والثقافي الجزائري، حيث تمّ تخفيف القيود عنها، ومنحها تواجدا أكبر في الوسط التعليمي والديني والإعلامي والجمعوي، واتضح ذلك أكثر مع بداية التعددية بعد أحداث 1988، ففي عامي 1990 و 1991م، تم اعتماد الزوايا كواجهة للسلطة وتم ترويج توجههم الوطني والثوري، محوريتهم في التاريخ الوطني، كما تم تقديم صورة جديدة تختلف عما كان يجري تداوله عن بسبب تعاونهم مع السلطات الاستعمارية -أو على الأقل سلبيتهم بشأن خيار التحرر الوطني- ، وكان اجتماع المصالح بين السلطة والصوفية ممثلة في الزوايا، من شأنه أن ينقذ النظام من التهديد المتزايد المتمثل في الجبهة الاسلامية للإنقاذ (Muedini, 2021, pp. 201-226)، وبعد أول انتخابات تعددية في الجزائر، والتي أسفرت عن فوز حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ سنة 1990م، أراد رئيس الحكومة آنذاك مولود حمروش أن يقلّص نفوذ الحركة الإسلامية في الجزائر، ففتح المجال أمام الطرق الصوفية، بهدف التضييق على الحركة الإسلامية، وذلك بتأسيس الاتحاد الوطني للزوايا في الجزائر (مايابى، 2019) .

شكلت الزوايا أحد عناصر المواجهة ضد الجماعات الإسلامية المسلحة في حقبة التسعينيات من القرن العشرين، وقدّمت نفسها باعتبارها تيار المسلمين المعتدلين المالكيين والوطنيين أصحاب الأرض، مقابل الإسلاميين المتشددين الأجانب بفكرهم ومشروعهم، وساعد تجريد خصوم الصوفية من الإشراف على الساجد والقطاع الديني في الجزائر في إعطاء مكانة أكبر للزوايا وشيوخها، كما أتاح الوصول الإعلامي الحصري لهؤلاء إلى جموع الشعب، تغييرا كبيرا للصورة النمطية بشأن الزوايا والطرق الصوفية كأدوات وعناصر للخرافة والشركيات والانحراف الديني، والواقع أنّ عدد من ممثلي التيار الصوفي ذهبوا ضحية للعنف المسلح، كما لم تسلم مقرات وأضرحة الطرق الصوفية من التخريب خاصة في الوسط الجزائري (ربيع، 2018).

لقد أعطى الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة للطرق والزوايا مكانة خاصة، وحضورا مجتمعيا متزايدا، فهو وقبل وصوله إلى سُدة الحكم، اعتكف لأيام في إحدى زوايا مدينة أدرار جنوب الجزائر، وزار ضريح الشيخ المهدى بن يونس في مستغانم، المتواجدة غرب الجزائر، وكثّف من الزيارات للزوايا قبل الانتخابات، كما جمع شيوخ الزوايا وقدم لهم وعودا بالدعم المادي والمعنوي، مقابل التزكية والدعم الشعبي (عز، 2018)، وبمجرد وصوله للرئاسة عيّن أحد رموز الطرقية وهو بوعبد الله غلام الله وزيرا للشؤون الدينية التي أضيف لها مجال الأوقاف التي تشمل خاصة الأضرحة والمزارات الدينية والزوايا، وفي دراسة مسحية غير منشورة، أعدها الباحث في مجال "المقدس الشعبي والأنساب"، الدكتور عمر بن عيشة، في

الفترة الممتدة ما بين 2004 و2018،خلص إلى وجود أكثر من 75 ألف ضريح ومزار عبر أرجاء البلاد، منها 6 آلاف ضريح تقام لها، كل سنة، طقوس تُسمى "الطعم "أو "الوعدة"، ومداخيل هذه الأضرحة "تقدر بما بين 600 إلى 700 مليار سنتيم (52 إلى 60 مليون دولار) سنويا (عتبي، 2018).

انسجاما مع توجهات الرئيس بوتفليقة(1999-2019) وحاشيته المرتبطة بالزوايا والطرقية، وكذا وزير الشؤون الدينية والأوقاف المدافع عن الدور الجديد للزوايا في المجتمع والخطاب المسجدي، ازداد الانفاق الواسع عليها، وظهرت تنظيمات تمثل تلك الزوايا على غرار المرصد الوطني للزوايا والمنظمة الوطنية للزوايا والتنسيقية الوطنية للزوايا والمؤسسة الوطنية للزوايا وثقافة التصوف، وتزايد تدشين المواقع الدينية المرتبطة بالزوايا، ونُظمت لها الملتقيات العلمية والتظاهرات الثقافية، كما بث التلفزيون الرسمي أنشطة الطرق الصوفية ضمن مباركة وتزكية برنامج الرئيس، وقد جعل بوتفليقة الزوايا تابعة مباشرة لرئاسة الجمهورية لا لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وبسبب مكانتها وسلطتها المعنوية المستمدة من الدين ومن قرب مشايخها لبوتفليقة، باتت هذه الزوايا مقصدا للوزراء وللشخصيات السياسية للتقرب من مشايخها لتجديد الولاء للرئيس، أو طلب الصفح والتوسط بعد الإبعاد من المسؤوليات، وقد حدث هذا الوضع خاصة مع وزير الطاقة الأسبق شكيب خليل الذي لاحقته قبلها تهم فساد، اضطرّ معها للفرار خارج الجزائر، ثم عاد من باب الزوايا لتبييض صورته، وإحياء أماله في النشاط السياسي (بودهّان، 2016).

رغم أنّ القانون الجزائري يفصل بشكل صارم بين العمل السياسي والاستغلال الديني، إلا أنّ ذلك لم يمنع من ممارسات تتجاوز دائرة الاستغلال الحزبي للدين في عملية التأثير والترويج، إلى ممارسات صارت تدفع بها السلطة الحاكمة نفسها، خاصة عبر تجنيد الزوايا والطرق الصوفية، وتوجيه الخطاب المسجدي المنبثق عنها لصالح توجهات الدولة (زهار، 2019)، لذا فلقد كان هناك تبادل واضح للمصالح بين الرئيس بوتفليقة والزوايا، وسانده هذا عندما أمر بتعديل الدستور في2008م، ليتمكن من الترشح مجددا للرئاسة متجاوزا القيد الدستوري على تحديد العهدات الرئاسية (مكناس، 2015، الصفحات 291-306)، وهو ما استفاد منه في 2009 و2014 ، ضمن أربع عهدات رئاسية متتالية، قبل أن يطيح حراك شعبي بمشروع العهدة الخامسة التي باركتها الزوايا عبر منتسبيها وممثليها الرسميين (مايابى، 2019).

بسبب الدعم والاهتمام الرسمي بها، استمرت الزوايا بالجزائر في الظهور باعتبارها الركيزة المحورية في المحافظة على المرجعية الوطنية والدينية للشعب الجزائري المبنية على الوسطية والاعتدال وجرى إظهارها كمساهم قوي في مسار الوئام المدني والمصالحة الوطنية، ومواجهة الفكر المتطرف والنشاط المسلح من جهة، وموازنة النفوذ المتزايد للسلفيين (قناة DW عربي، 2016)، وجرى استغلال الزوايا سياسيا كوسيلة تعبئة جماهيرية، وضمن شعار الحفاظ على السلم بين أفراد المجتمع الجزائري، وتمّ ترسيخ مبدأ عدم التدخل في السياسة انطلاقا من مبدأ طاعة ولي الأمر، وضمن هذا المسار صرّح أحمد أويحي، مدير ديوان الرئيس الجزائري في نوفمبر 2016م أنّ "**الزوايا لها دور ريادي كمؤسسات دينية في الحفاظ على الوحدة الوطنية**" (عزيز، 2017)، فيما تصدى وزير الداخلية الأسبق نور الدين بدوي(2016) للدفاع عنها خلال

الملتقى الدولي حول المدرسة الصوفية الجزائرية المنعقد بولاية أدرار، حين أكّد أنّ الزوايا لعبت دورا كبيرا في حماية الجزائر من الأفكار الدخيلة، وفي نشر قيم الإسلام الوسطي (بودهّان، 2016).

بناء على هذا الوضع الذي حازته الزوايا ومن ورائها الطرق الصوفية في الجزائر، فقد تداخل في أنشطتها المضمون الديني بالأثر السياسي والاجتماعي، وصارت في صميم التنافس وصرع المصالح، وتجاذبات السلطة بالمعارضة، ليتطور حضورها، وينتقل من حدود السياسة الداخلية إلى السلوك الخارجي للدولة.

**2.3. التوظيف الجزائري الخارجي للصوفية في بناء النفوذ الإقليمي**

لقد حدث إهمال كبير للعنصر الروحي في بناء السلوك الخارجي خلال العقود الأربع التي أعقبت الاستقلال الوطني، وهو ما أثّر خاصة على مكانة الجزائري القارية، وحرمها من ترسيخ وجودها المؤثر حتى في جوارها الجغرافي، لهذا ومنذ تولي الرئيس السابق بوتفليقة السلطة سنة 1999م لم تكتف الدولة بإحياء دور الزوايا داخليا، بل حاولت بعث البعد الإفريقي للصوفية الجزائرية ، وأنّه يتعين تعزيز امتدادها في منطقة الساحل وغرب افريقيا، وموازنة المشروع المغربي في استخدام الصوفية ضمن أدوات القوة الناعمة في السياسة الخارجية، وأن يتم ذلك بالتسويق لطرح الإسلام المتسامح وثقافة العيش المشترك، ونبذ التطرف والعنف، وبالموازاة مع هذا التوجه اتجهت الجزائر شمالا في استقطاب مسلمي المهجر وفرنسا حيث سعت الجزائر رسميًا إلى جعل المسجد الكبير في باريس ملكًا للدولة الجزائرية، وذلك بهدف حماية ارث ممتلكاتها، وأماكن العبادة التابعة لها في فرنسا، وتطوير الأعمال الدّينية والثقافية لصالح مسلمي أوروبا (شلالا، 2015)، وفي ظل هيمنة أنصار الصوفية على وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، فإنّ ذلك كان يشير إلى تعزيز توجههم أكثر في ربط الجالية الجزائرية بالجزائر وموقفها الرسمي إزاء الاهتمام المغربي بالتأثير في مسلمي فرنسا والمهجر الأوروبي عموما.

لقد تمت المراهنة في تثمين المكوّن الصوفي على الإكثار من الفعاليات الثقافية ذات الطبيعة الدولية والمرتبطة بالصوفية، والتي يتم فيها السعي لاستقطاب أكبر عدد ممكن من الشخصيات المؤثرة وذات الرمزية في التصوف والدفاع عن الصوفية، وأيضا تأسيس التنظيمات والمؤسسات التي يكون مركزها في الجزائر وتقدّم نفسها ممثلة للصوفية، ففي 20ماي 2016 مثلا تم تأسيس الاتحاد العالمي للتصوف، وذلك من طرف ممثلي طرق صوفية بالجزائر وبحضور زهاء 120 عالما من 40 دولة، إضافة إلى ممثلي الجالية الإسلامية من عشرة بلدان الذين اتفقوا على اختيار الدكتور عمر محمود شعلال رئيس الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية رئيسا لهذا الصرح الديني العالمي، حيث كلف بتنظيم الهياكل الإدارية واستكمال إجراءات التأسيس وفقا للقانون الجزائري، وقد ترافق هذا التأسيس مع المؤتمر العالمي الأول للتصوف الذي تناول موضوع "المرجعية المحمدية في معالجة قضايا وتحديات العصر" والمنظم لمدة ثلاثة أيام بمبادرة من الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية (وكالة الأنباء الجزائرية، مستغانم: تأسيس الاتحاد العالمي للتصوف واختيار الجزائر رئيسة له، 2016).

إنّ هناك جملة من الخيارات التي تتيح للجزائر -عبر دعم الاتجاه الصوفي-بناء نفوذ إقليمي في افريقيا خاصة، ومن ذلك مثلا أنّه يجدر إعلاء رمزية الجزائر بالنسبة لكونها مهدا لنشأة عدد من الطرق

الصوفية ونشاط الزوايا العابر للحدود، فهي مهد للطرق الأكثر تعداد من حيث الأتباع في افريقيا خاصة، ومن ذلك الطريقة المدينية التي تعود للشيخ أبي مدين في بجاية والغرب الجزائري، والتي انبثقت عنها الطريقة الشاذلية التي تنتشر في مصر خاصة، كما أنّ من بين الطرق الصوفية ذات الانتشار الواسع أيضا الطريقة الرحمانية التي تنسب إلى محمد بن عبد الرحمان المولود حوالي سنة 1720م في قبيلة آيت إسماعيل في جبال جرجرة بتيزي وزو، والطريقة التيجانية التي تنسب إلى أحمد بن محمد التيجاني بمنطقة عين ماضي بالأغواط، وكل هذه الطرق تعد ملايين الأتباع في الجزائر وخارجها (موقع أصوات مغاربية، 2017)، ففي دولة السنغال مثلًا، والتي يشكّل المسلمون فيها ما نسبته (94%) من عدد السكان، فإن التيجانية تحتضن (51%) من المسلمين في السنغال ( الشقاوي، 18)، ، كما أنّه يمكن الاتجاه شرقا والتركيز على الجارة تونس، حيث ينتسب حوالي مليون ونصف المليون شخص إلى الطرق الصوفية وفق تقديرات اتحاد الطرق الصوفية التونسي، وهو عدد كبير نسبة إلى عدد سكان البلاد المقدر(سنة 2018) بحوالي 11.5 مليون نسمة (جريدة العرب، 2018، صفحة 17)،وفي جانب آخر فإنّ هناك حضورا للإرث الصوفي في علاقات الجزائر بتونس، فعبد العزيز الثعالبي الذي يعد من أهم الشخصيات الوطنية التونسية التي قادت حركة الإصلاح وساهمت في تأطير العمل السياسي ضد الاستعمار الفرنسي، هو حفيد عبد الرحمن الثعالبي الذي يوصف بأنّه ولي مدينة الجزائر، وشاع في التراث الشعبي تسميتها باسم مدينة سيدي عبد الرحمن (خالد، 2001، صفحة 83)، وهنا يمكن المراهنة على تمتين أواصر العلاقة والامتداد التاريخي لها بين الشعبين التونسي والجزائري.

تعد ليبيا مجالا لتجسيد الحضور الجزائري فيها، وذلك من منطلق توظيف القوة الناعمة، بالمراهنة على تاريخ الولاء والاعتقاد الصوفي ، فالزاوية السنوسية المهيمنة على اعتقادات جزء مهم م الشعب الليبي، والتي رغم أنّ مركزها في ليبيا، إلا أنّها تعود إلى الشيخ محمد بن علي السنوسي (1787 . 1859م) المولود بمستغانم، والذي نشر هو وأتباعه الدعوة السنوسية في أفريقيا الشمالية كلها، وصولا جنوبًا إلى الصحراء في السودان والصومال، وحتى خارج أفريقية حيث وصلت إلى أرخبيل الملايو في الشرق الأقصى، وميزة هذه الطريقة أنها تقدّم اسلاما بعيد عن الشركيات والخرافة، ويقترب من السلفية، بما يكفل استقطاب فئات واسعة من المالكية والحنبلية، مع رمزية المقاومة ضد المستعمر الأجنبي التي عبّرت عنها خاصة مع عمر المختار (الصلابي، 2005، صفحة 41)، وهو ما يليق بالصورة النمطية للجزائر كبلد للثورة والتحرر من أي سيطرة خارجية.

انخرطت الجزائر في الجهود الدولية لمكافحة التطرف والأنشطة المسلحة المرتبطة بما يوصف بالإرهاب، مقدمة رؤية مكمّلة للشقين الأمني والاقتصادي أساسها المجال الفكري والتكويني الذي أشرفت عليه الزوايا، عبر تأسيس المعهد الافريقي لمحاربة الإرهاب عام 2013، والذّي اتجه إلى تخريج أئمة من مختلف الجنسيات الإفريقية، حيث مهمّتهم الأساسيَّة مواجهة التطرف خصوصا بدول الساحل الأفريقي (بنداري، 2018)، ولقد شهدت السنوات الأخيرة لعهدة الرئيس السابق بوتفليقة نقلا للصوفية من مجرد اعتقادات تخص المسلمين، إلى شريك في الجهود الدولية في بناء السلام وثقافة العيش المشترك، وكان هذا

الوضع في صميم سعي لجزائر لتبوأ مكانة رمزية على المستوى الدولي، ومساع تتصل بالرغبة في تقليد الرئيس جائزة نوبل للسلام، والتي كان من شأنها أن تعطي إضافة إلى الوزن النسبي لمكانة الجزائر الخارجية.

## 4.الخاتمة:

يعدّ التعمق في الاعتقاد الديني بشاكلة التصوف، ميزة لسلوكات عدد من أتباع الديانات عبر العالم، وله ماض يمتد لألاف السنين، بشأن قدسية أشخاص والاعتزاز بهم، والثقة في يقينية ممارسات دينية، متصلة بضبط النفس والزهد في الحياة، ولعلّ ما يتصل بالتصوف الإسلامي هو أحد أبرز تجليات ذلك الشكل من التعبّد، وهو أمر لا ينف وجود التصوف في باقي الديانات الأخرى، غير أنّه ولشيوع ارتباطه بالإسلام، صار الحديث عنه مرافقا للحديث عن طوائف وتقاليد وأشخاص لهم رمزية التصوف، وبناءات الظاهرة الصوفية، ولمّا كانت هذه الظاهرة تستحوذ على قبول وولاء وتبعية ملايين الناس لأقطابها، فإنّه كان من المناسب للساسة والحكومات أن تضعها ضمن اهتماماتها سواء بالحذر أو الاتباع أو الاستغلال، ويبرز هذا الخيار الأخير مؤطرا لما سيروّج له بعنوان الصوفية الوظيفية، وتجتهد عديد الأنظمة خاصة العربية في الاستثمار فيه، والعمل على جعله أحد أدوات تثبيت سلطتها وإكسابها الشرعية تجاه خصومها على المستوى الداخلي، أو في تقوية مركزها ومساعي البحث عن النفوذ الخارجي، وتظهر في هذا الإطار التوجهات الرسمية الجزائرية ضمن العقدين الماضيين في تبني هذه الرؤية، في ظل سؤال الشرعية والضغوط الخارجية في حيز جغرافي غير مستقر.

إنه يتعيّن تبعا لتشعب اهتمامات السياسة الخارجية وتنوع مصادر للقوة للأنظمة السياسية؛ أن تمضي الجزائر في توظيف الصوفية ضمن تصور مزدوج يكفل تحقيق الاستقرار الداخلي من جهة، ويضمن للجزائر مكانة خارجية ونفوذا وحضورا قويين خاصة في ظل فترة تشهد تصاعد للتوترات، وتزايدا في مستويات التنافس، واستغلال كل ما يضيف رصيدا لقوة الدولة ويعظّم مصالحها.

## 4.قائمة المراجع:


- Aigerim, R. (2015). *Power in IR : Hard, Soft and smart power*. Institute for Culture Diplomacy and the university of Bucharest.
- Marco Maurizi .(2021 ,09 26) .*The fake Günther Anders of conspiracy theorists* تاريخ . الاسترداد 04 01, 2023، من https://marcomaurizi74.wordpress.com/2021/09/26/653/
- Muedini, F. (2021, 12). The Promotion of Sufism in the Politics of Algeria and Morocco. *Islamic Africa, 03*(02), pp. 201-226.
- Nye , J. J. (2004). *Soft Power: The Means to Success in World Politics*. New York: Public Affairs.
- Terzioğlu, E. (2022). Soft or hard power in diplomacy. Dans T. Elitaş, *Maintaining international relations through digital public diplomacy policies and discourses* (pp. 51-64). Pennsylvania: IGI Global Publisher of Timely Knowledge.
- أبو العلا عفيفي. (09 03, 2018). *التصوف الفلسفي في الإسلام*. تاريخ الاسترداد 19 12, 2022، من https://alantologia.com/blogs/6782/
- أحمد سعد الدين علي البساطي. (1988). *حقيقة التصوف في الإسلام*. القاهرة: دار الطباعة المحمدية.
- أحمد خالد. (2001). *الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي وإشكالية فكره السياسي*. تونس: الدار العربية للكتاب.

- أحمد عزيز. (02 01, 2017). الطرق الصوفية بالجزائر... نفوذ "بلا سياسة" واتهامات بتحريف مهمتها. *جريدة القدس العربي*، 17.
- العيد علاوي. (06, 2012). التصوف من إشكالية الفهم إلى تيه الممارسة. *مجلة المخبر' أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، 08*(01)، الصفحات 127-141.
- أمين بن عبدالله الشقاوي. (18 ,02 2018). *الصوفية وخطرها على بلاد الإسلام*. تاريخ الاسترداد 17 12, 2022، من https://bit.ly/3hPYSBf
- أمينة قابو. (03, 2016). ظاهرة التصوف في المجتمع الجزائري: مقاربة سوسيوتاريخية. *مجلة الحوار الثقافي، 05*(01)، الصفحات 165-177.
- آن فلوريني، و بين جاي سيمونز. (2005). ما الذي يحتاج إليه العالم الآن؟ تأليف آن فلوريني، *القوة الثالثة: المؤسسات العالمية عبر الحدود القومية* (تانيا بشارة، المترجمون). بيروت، لبنان: دار الساقي ومؤسسة البابطين للترجمة.
- إياد خلف الكعود. (2016). رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية. *استراتيجية القوة الناعمة ودورها في تنفيذ اهداف السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة العربية*. عمّان، الأردن: كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط.
- آية عز. (09 01, 2018). *صوفية الجزائر... سلاح الدولة في محاربة الإرهاب*. تاريخ الاسترداد 12 01, 2023، من https://www.albawabhnews.com/2889889
- *آية عز، صوفية الجزائر... سلاح الدولة في محاربة الإرهاب*. (09 01, 2018).
- براهيم معيوش. (06, 2021). من صور الالتحام بين الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالجزائر. *مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية، 07*(01)، الصفحات 175-184.
- بشرى شيبوط. (09, 2018). مؤشرات التنمية البيئية وتأثيرها على مسرى الدول في ظل المتغيرات الدولية الجديدة: دراسة حالة الجزائر. *المجلة الأكاديمية للبحوث القانونية والسياسية، 02*(02).
- جريدة العرب. (03 02, 2018). أهالي مدينة تونس يستحضرون "سيدي محرز" في المحن والشدائد. (12317)،
- حبيب مايابى. (17 04, 2019). *صوفية الجزائر... من جهاد المستعمر إلى أحضان السلطة*. تاريخ الاسترداد 17 01, 2023، من https://bit.ly/3DOO8to
- حسام الدين فيّاض. (25 06, 2022). *حول مفهوم القوة الناعمة*. تاريخ الاسترداد 19 01, 2023، من http://bit.ly/3HhnRqP
- حسان زهار. (22 11, 2019). *الزوايا الصوفية في الجزائر...هل تؤثر في انتخابات الرئاسة؟* تاريخ الاسترداد 09 01, 2023، من https://bit.ly/3VIOdGp
- حمزة عتبي. (07 03, 2018). *تبلغ 60 مليون دولار في السنة...أين تذهب أموال أضرحة الجزائر؟* تاريخ الاسترداد 23 12, 2022، من https://bit.ly/3I4RkU3
- خليل حسين. (06, 2008). القوة وأثرها في الأحلاف الدولية وصراعاتها. *مجلة الدفاع الوطني اللبناني*(65)، الصفحات 31-72.
- روبرت دال. (1993). *التحليل السياسي الحديث*. (علا أبو زيد، المترجمون) القاهرة، مصر: مركز الأهرام للترجمة والنشر.
- روي ميلر (المحرر). (01 04, 2018). *النموذج القطري ومراجعة نظرية أمن "الدول الصغيرة"*. تاريخ الاسترداد 22 01, 2023، من https://bit.ly/3kOTgs0
- زهية منصر. (20 04, 2012). *عبد المنعم القاسمي الحسني يروي قصة الزوايا في تجاذباتها مع السلطة*. (جريدة الفجر)
- 02, 2023، من https://www.djazairess.com/alfadjr/212133
- سليم حميداني، و سميرة شرايطية. (10, 2020). توظيف القوة الناعمة في السياسة الخارجية: العلاقات الجزائرية الإفريقية 1999-2019 نموذجا. *مجلة الراصد العلمي*، الصفحات 189-225.

- سهام الدريسي. (2017). *الصوفية الوظيفية: الفكرة والأدوار*. اسطنبول: مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات: وحدة الدراسات والأبحاث.
- عبد الحليم حفينة. (01 05, 2022). *المصريون شغوفون بزيارة الأضرحة رغم الجدال التاريخي*. تاريخ الاسترداد 26 12, 2022، من https://bit.ly/39DGqr5
- عبد الرحمن ابن خلدون. (2006). *مقدمة ابن خلدون*. القاهرة، مصر: الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع.
- عبد الله خضر حمد. (2018). *التصوف والتأويل*. (الأردن: عمّان: دار الأكاديميون للنشر والتوزيع.
- عبد الله بن دحين السهلي. (2005). *الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وأثارها*. الرياض، السعودية: دار كنوز إشبيليا
- عبد الهادي ربيع. (14 07, 2018). *العشرية السوداء في الجزائر... تشدد ديني وهجوم على الصوفية*. تاريخ الاسترداد 11 01, 2023، من https://www.almarjie-paris.com/1653
- علي محمد الصلابي. (2005). ، *تاريخ الحركة السنوسية في افريقيا*. بيروت: دار المعرفة.
- غابريال أبرهام ألموند، و جورج بنغهام الابن باول. (1998). *السياسات المقارنة في وقتنا الحاضر*. (هشام عبد الله، المترجمون) عمّان، الأردن: دار الأهلية للنشر والتزيع.
- غلوم طالب طالب . (2019). *استراتيجية تطوير إمكانيات القُوّة الناعمة: الاتصال الجماهيري و الدبلوماسية العامة الإماراتية*. القاهرة: دار السعيد للنشر والتوزيع.
- قناة DW عربي. (13 04, 2016). *الجزائر: هل تصلح الزوايا الصوفية ما أفسده التطرف الداعشي؟* تاريخ الاسترداد 28 12, 2022، من https://p.dw.com/p/1ISs5
- كينيث نيوتن، و جان فان ديث. (2014). *أسس السياسة المقارنة: ج01*. (عبد الله الغامدي، و عبد السلام نوير، المترجمون) الرياض، السعودية: دار جامعة الملك سعود للنشر.
- مختارية مكناس. (01, 2015). الإنتاج السياسي للوظائف الاجتماعية بالزاوية الجزائرية: الزاوية العلاوية نموذجا. *مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، 03*(02)، الصفحات 291-306.
- مروان شلالا. (04 12, 2015). *الجزائر تسعي لامتلاك مسجد باريس الكبير*. تاريخ الاسترداد 16 12, 2022، من https://elaph.com/Web/News/2015/12/1060045
- مصطفى كلوشي. (2010). البعد السياسي للحركات الصوفية: الجزائر نموذجا. *مجلة الباحث في العلوم الاجتماعية والانسانية، 12*(01)، الصفحات 533-546.
- منذر الحايك. (2006). *العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية: ج01*. دمشق، سوريا: دار الأوائل للنشر
- موقع أصوات مغاربية. (24 08, 2017). *الطرق الصوفية في الجزائر... هل تعرفها؟*، 13. تاريخ الاسترداد 2023، من https://bit.ly/3Z3F3Gs
- ناي جرين. (2017). *الصوفية نشأتها وتاريخها*. (صفية مختار، المترجمون) وندسور، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي.
- نور الدين المكشر. (18 12, 2020). *حركات الإسلام السياسي في محاربة الصوفية*. تم الاسترداد من http://bit.ly/3E6p6XT
- نورا بنداري. (21 09, 2018). *الدور السياسي للصوفيَّة.. طبيعته وتقييمه ومستقبله*. تاريخ الاسترداد 07 02, 2023، من https://www.almarjie-paris.com/4017
- وكالة الأنباء الجزائرية. (20 05, 2016). *مستغانم: تأسيس الاتحاد العالمي للتصوف واختيار الجزائر رئيسة له*. تاريخ الاسترداد 22 12, 2022، من https://www.djazairess.com/aps/430400
- وكالة الأنباء الجزائرية. (20 05, 2016). *مستغانم: تأسيس الاتحاد العالمي للتصوف واختيار الجزائر رئيسة له*. تاريخ الاسترداد 19 12, 2022، من https://www.djazairess.com/aps/430400
- ياسين بودهّان. (06 04, 2016). *الزوايا بالجزائر... من تعليم القرآن إلى منح "صكوك الغفران"* . تاريخ الاسترداد 29 11, 2022، من موقع الجزيرة الاخباري: https://bit.ly/35Kc1pj
- يسعد شريف صحراوي. (2021). ، *المثقّف والسلطة في الجزائر بين التبعية والاستقلالية : 1989-2009*. جامعة الجزائر3.